الفكر التربوي عند قاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة

أ.م. د. ساهرة عبدالله ضاحي / مديرية تربية الكرخ الاولى

الملخص

تحتل الافكار والمبادئ التي بلورها ابن جماعة في ميدان التربية مكانا رئيسا في الاصول التاريخية للتربية عند المسلمين ،وتملك هذه الآراء والمبادئ ان تسهم إسهاما فعالا في إعادة التنظيم التربوي الذي يتطلع اليه العالم الاسلامي .

تعد بعض الافكار التربوية للشيخ بدر الدين بن جماعة ، ومنه ما تضمنت المعلم ومواصفاته وطرائق تدريسه ، واراءه التربوية ، ولقد كان بمقدور هذه الافكار لو وضعت موضعها الصحيح من البحث ان تحدث أثرا كبيرا في العملية التربوية قبل ان تأتينا آراء (روسو) و (بستالوتزي) و (فرويل) و (هربارت) و (ديوي) وقد رأينا ان الشيخ ابن جماعة كان له في وضع اصول التعليم الصدارة والريادة .

كلمات مفتاحية : الفكر التربوي ,ابن جماعة ,المعلم , صفات المعلم , تفاعلات تربوية ,طريقة المحاضرات

The Educational Thought of the Chief Justice Badr Al-Din Ibn- Jamaah

P.A.Dr. Sahira Abdullah Dahi

Directorate of Education / Karkh[1] / High School. Paradise for Girls

Abstract

The ideas and principles formulated by Ibn-Jamaah in the field of education occupy a central place in the historical origins of education for Muslims. These views and principles have an active role in the educational reorganization that the Islamic world aspires to. These ideas have had a great impact on the educational process that had preceded the opinions of Russo, Pestalutzi, Fruel, Herbert, and Dewey. Moreover, we have seen that the Sheikh of Ibn-Jamaah has taken part in formulating the origins of education and leadership.

Keywords: Educational thought, Ibn-jamaah, the teacher, Teacher Qualifications, Educational interactions, Method of lectures

اهمية البحث والحاجة اليه

تزخر كتب التراث العربي الاسلامي بقدر لا يستهان به من الفكر التربوي ، إلا أن هذا الفكر موجود بشكل متفرق في كثير من كتب الفقه الإسلامي والأدب ، وفي بعض كتب الفلسفة العربية الاسلامية ، وبشكل مركز في بعض الكتب التي ألفت في موضوع التربية والتعليم بالذات .

ومما لاشك فيه أن اصول الفكر التربوي ترجع الى القران الكريم والسنة المطهرة ، وهو خصب غني بالأفكار وبطبيعة الحال فأننا نحكم على تلك الأفكار من خلال الزمان والمكان والظروف التي كانت سائدة في تلك الأزمنة أو الاحوال التي ظهر فيها المفكرون العرب المسلمون ، أنهم بهذا المقياس كانوا السابقين في وضع كثير من المبادئ والأساليب التربوية ، وقد نبع اعلام في التربية ، امثال ابن سحنون او الفارابي و القابسي و ابن مسكويه وغيرهم الكثير .(١٧ ، ص ٢٧٥– ٢٧٦)

إن ظروف الصراع الاجتماعي والسياسي والفكري الذي شهده المجتمع العربي والمجتمعات الإسلامية منذ قرون طويلة حتى الان وان ضعف الاهتمام بالتراث ادى الى ازمة حادة في تربيتنا المعاصرة ، تتمثل في تجاهلها لقيم التراث وأهميته في بناء شخصية الأمة وإعطائها الهوية الثقافية المميزة وادى الى انحراف هذه الامة الى التيارات الفكرية الثقافية المساندة وتقليدها ونسيان الذات بما طبع تربيتنا بالجفاف الروحي والاضطراب الخلقي والركض وراء اساليب الفكر التربوي العالمي وطرائقه مما أدى الى تغريب الانسان العربي المسلم وتشويه فكره وروحه.

من هنا وجدنا دراسة الفكر التربوي في تراثنا العربي الاسلامي ، ولاسيما ان مكتباتنا المعاصرة فيها قصور فكري لا يناسب مع عظمة الموروث من النتاج العلمي والثقافي ، وعلى الرغم من العناية بالتراث ما زالت دراساتنا وكتاباتنا عن التربية الاسلامية أو عن تاريخها وإعلامها بحاجة الى مزيد من البحث والدراسة في أصول فكرنا. (١١، ص٢)

وترى الباحثة ان تجدد الوفاء للتراث يكون بمدى وفائنا لعصرنا وزماننا وحياتنا الجديدة وتبرز هنا اهمية الاختيار والانتقاء في الميدان ، واذا كان العرب الاقدمون قد قالوا لنا منذ زمن بعيد إن (اختيار المرء

قطعة من عقله) ، فهو الذي فرض على اختيار ابن جماعة موضوعا لهذا البحث راجية ان اكون قد حققت الرغبة في إعطاء صورة لفكر قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة .(١٢ ، ص ٦-٧)

هدف البحث

يرمي البحث الى تعرف الفكر التربوي عند ابن جماعة عن طرق الاجابة عن الاسئلة الاتية :-

١- ماهي كفايات وصفات المعلم في فكر ابن جماعة التربوي ؟

٢- خصائص طرق التدريس الجيدة عند ابن جماعة ؟

حياته

هو بدر الدين محمد بن ابراهيم بن سعد الله بن جماعة بن علي بن جماعة ابن حازم بن صخر بن عبدالله ، الكناني الحموي الشافعي ، ولد ليلة السبت رابع ربيع الاخر سنة تسع وثلاثين وستمائة بحماة(٢، ص ١٦٣) نشأ في بيت علم وزهادة (١٠ ، ص ٣٦٩) اذ عاش في كنف ابيه (الشيخ الامام الزاهد ابي اسحاق ابراهيم بن سعد الله بن جماعة)(٢، ص١٦٣) (وكان والده من كبار الصالحين)(١٨ ، ص ٢٨٧) وكانت اسرة بدر الدين من اعرق اسر مدينة حماة ، خدم رجالها الدين والعلم والقضاء (٥ ، ص ٣٨٦) .

انتهل بدر الدين بن جماعة العلم صغيرا في مدينة حماة ، واستمع الى الحديث من قبل شيخه ابن عزون وغيره (١٤ ، ص ٣٥٢) ثم ارتحل الى دمشق ، وكانت في عصره محج العلماء وطلبة العلم واخذ اكثر علومه من القاهرة بعد رحلته اليها وحصوله على علوم كثيرة ، وكان محدثا منفردا في وقته ومصنفا ومفسرا (١٨ ، ص ١٨٧) وموثوقا بعلمه ولا منازعا بإمامته ، ومفتي قديما ، استمع النووي لفتواه فاستحسن جوابه (٧ ،ص٤٥٢) .

اشتغل بدر الدين جماعة بالتدريس ، عرفه اهل عصره المعلم الكفء الذي اجاد مهنة التدريس بما يملك من مهارات وحسن الهيئة والخصال الحميدة التي يجب ان يتحلى بها المعلم (١٠ ،ص٣٥٢) ثم تولى الخطابة في المسجد الاموي .

كان القاضي بدر الدين بن جماعة حسن التربية في غير عنف ولا تخجيل لأنه من بيت مسلم وزهاده ، وكانت في رئاسة وتودد ، فوقع اختيار السلطان عليه واستمر يلي منصب القضاة مدة

ليست بالقصيرة ونقل ابن جماعة الى قضاء الشام ، وجمع له بين القضاء ومشيخة الشيوخ واستمر بالقضاء الى ان شاخ واضر وثقل سمعه.(١٥، ص١٠٥)

مؤلفات ابن جماعة

كان ابن جماعة كثير التاليف ، صاحب معارف ، يضرب في كل فن بسهم (١٠ ،ص٣٦٧) ومن مؤلفاته :-

١- تذكرة السامع والمتكلم في ادب العالم والمتعلم (٦،ص٣٨٦).

٢- كتاب المقتص في فوائد تكرير القصص (١٦ ، ج٢ ، ص ١٧٩٣) .

٣- المختصر في علم الحديث (١٦ ، ج٢ ، ص ١٦٣٠) .

٤- المنهل الروي في علوم الحديث النبوي (١٦ ،ص١٦٣).

٥- كتاب المسالك في علم المناسك (١٦،ص١٦٦٣) ، وغيرها الكثير .

وفاته

عاش بدر الدين بن جماعة زهاء اربعة وتسعون سنة وشهراً واياماً .

توفي سنة ٧٣٣ هـ ودفن بالقرافة حيث كانت جنازته حافلة هائلة ، اذ كان الجمع في جنازته متكاثراً ، فظفر بطيب الذكرى . (١ ، ص ٨٦ – ٨٧)

المعلم في فكر ابن جماعة التربوي اهميته و كفايته وصفاته

اهمية المعلم في العملية التعليمية :

ادرك الشيخ بدر الدين بن جماعة ان المعلم عامل اساسي في نجاح العملية التعليمية ، وانه من اهم عناصر التعليم ، فالتعليم عنده لا يتم بغير معلم ، وان عناصر التعليم تفقد فعاليتها اذا لم يتوفر المعلم الصالح ، ويستشهد على اهمية المعلم لحدوث تعلم جيد بقوله : (قيل لأبي حنيفة رحمه الله : في المسجد حلقة ينظرون في الفقه ، فقال : الهم رأس ؟ قالوا : لا ، قال : لا يفقه هؤلاء ابدا) (١ ، ص ٤٦) ، ومن هنا كان اهتمام ابن جماعة باختيار المعلم ، وتحديد عناصر كفايته ، وتعين مسئولياته ، واهم الصفات الواجب توافرها فيه ، فقال : (وينبغي للطالب ان يقدم النظر ويستخير الله فيمن يأخذ العلم عنه ، ويكتسب حسن الاخلاق والآداب منه ، وليكن ان امكن ممن كلف أهليته ،

وتحققت شفقته ، وظهرت مروءته ، وعرفت عفته ، واشتهرت صيانته ، وكان احسن تعليما ، واجود تفهيما) (١ ، ص٥٨) .

ويدلل البدر بن جماعة على ان تحقيق اهداف التعليم منوطة بحسن اختيار المعلم ولا يستطيع المتعلم بلوغ مراده وتحقيق اهدافه – فيما يرى ابن جماعة – الا اذا احسن اختيار معلميه بحيث (يعتمد في كل فن من هو احسن تعليما له ، واكثر تحقيقا فيه وتحصيلا منه ، وأخبرهم .... ويعود اهتمام ابن جماعة بنوعية المعلم الي يقينه بان المعلم من اكثر الناس تأثيرا في التلميذ ، وان صفاته اسرع انتقالا اليه من صفات غيره ، وان التلميذ اذا احب معلمه ، اصبحت اهداف المعلم اهدافه ، واصبح الخضوع لرغباته ، واطاعة توجيهاته لا تمس كرامته ، ولا تجرده من صفاته الشخصية وليس كل احد يصلح للتعليم عند الشيخ ابن جماعة ، انما يصلح له من تأهل تأهيلا جيدا واعد اعدادا طيبا ، ومن الخطأ ان يتصدر انسان للتدريس قبل ان تكتمل اهليته للتعليم ، انه ان فعل ذلك عرض نفسه للهوان .

ويلفت ابن جماعة النظر في دعوته لاختيار اصلح المعلمين للتعليم ، الى ان معيار الصلاح ليس في كل الحالات ذيوع الشهرة وبعد الصيت ، فقد يتوفر الصلاح فيمن لم ينل حظه من الشهرة ، وهو يحذر المتعلم من اختيار المعلمين اعتمادا على ذيوع شهرتهم دونما تفكير في قدرتهم على التدريس وافادة طلابهم وليكن على حذر في اخذ العلم ممن ذاعت شهرته ، وانما ياخذه ممن كان قادرا على اعطاءه سواء كان مشهورا او غير مشهور . (١ ، ص٨٦)

على ان المعلم الكفء الذي يستطيع ان يقوم بوظائفه الكثيرة المتنوعة – في راي ابن جماعة – هو من اكتملت شخصيته ابعاد ثلاثة ، تشكل في مجموعها ما يمكن ان نطلق عليه (الكفاية الخاصة للمعلم) وهذه الابعاد هي : المعرفة التامة بمواد التخصص التي يقوم بتعليمها لتلاميذه ، وسيطرته على مختلف مهاراتها ، وتوافر حد من الثقافة العامة لديه ، يعينه على توجيه المتعلمين ورعاية مصالحهم ، وارشادهم الى مصادر المعرفة المختلفة ، ثم معرفة كاملة بطبيعة المتعلمين وخصائصهم وهذا ما نسميه بكفايات المعلم للتدريس (١٧ ، ص ٢٧٥ – ص٢٧٦) .

كفاية المعلم للتدريس :

اولا : المام المعلم التام بمواد التخصص :

رأى ابن جماعة أن على المعلم – قبل كل شيء – أن يكون غزير المادة العلمية ، يعرف ما يعلمه اتم معرفة وأعمقها إن المعلم لا يوصف بالكفاءة ،كما لا يوصف تعليمه بالجودة حتى تكتمل له معرفة مادته او المواد التي يقوم بتدريسها وحتى (يلم بطبيعتها من حيث محتواها ، وما تشتمل عليه من تفاصيل وفروع وحتى يكون مستوعبا لها ، متفهما لأصولها)(٩ ،ص١٩٩) والشيخ ابن جماعة لايفصل التعليم عن التعلم ، فكل معلم في رأيه ينبغي أن يزداد علما بما يعلمه في كل وقت ، وعليه ان (يطالب نفسه في كل يوم باستفادة علم جديد ، ويحاسبها على ما حصله)(١ ، ص٢٢٠) ويتوقف بلوغ المعلم غايته في التمكن من مادته على ما يبذله من جهد في التعلم .

إن المعلم – عند الشيخ ابن جماعة – ينبغي ان يكون احسن متعلم ، وهو يدلل على ذلك بقول سعيد بن جبير ، (لايزال الرجل عالما ما تعلم ، فإذا ترك التعلم وظن انه قد استغنى واكتفى بما عنده فهو اجهل ما يكون وانشد بعض العرب (وليس العمى طول السؤال وانما تمام العمي طول السكوت على الجهل) (١ ،ص٧١) .

والمعلم اذا شاء ان يبلي بلاء حسناً في عملية التعليم فلا بد ان يطلب المزيد من العلم في تعليمه لانه فوق كل ذي علم عليم وليكن صاحب همه عالية في اخذ العلم ولا يرضى بما عنده من العلم القليل (١ ، ص ١٣٣ – ص١٣٤).

ان ابن جماعة بهذه النصوص وغيرها مما يحث المعلم على مداومة التعلم والبحث واستمرارية طلب العلم يلفت الانتباه الى حقيقة تربوية هامة ، وهي تداخل عمليتي التعليم والتعلم ، لا من حيث الشبه الموجود بين اللفظتين (تعليم وتعلم) بل لاعتماد كل منهما على الاخرى ، حيث لا يحدث التعلم اذا لم يكن التعليم مؤثرا ، والمتعلم عادة لا يعطي انتباهه الى المعلم القاصر في تعليمه ، العاجز عن الاحاطة بأبعاد مادته ، والتعليم الجيد في النهاية لابد ان يؤدي الى تعلم.

ويعرض ابن جماعة للمعلم وسائل متعددة تمكنه من الاستزادة من العلم ، وامتلاك مهارات المعرفة في موضوع تخصصه ، ليستمر بذلك نموه العلمي ومن هذه الوسائل : القراءة ، والمطالعة ، والتعليق ، والحفظ والبحث (١ ، ص٢٦) وطول الاجتماع بعلماء تخصصه الثقات وكثرة البحث معهم (١ ، ص٨٧) (والاشتغال بالتصنيف والجمع والتأليف ، لكن مع تمام الفضيلة وكمال الاهلية)(١، ص٢٩) .

ثانيا : الثقافة العامة للمعلم :

يراد بالثقافة العامة (الثقافة الانسانية الواسعة التي تهيئ للمعلم اسباب مؤالفة الطبيعة ، ومؤالفة الحياة الاجتماعية ، ومؤالفة القيم) .

فإذا حرم المعلم من هذه الثقافة العامة عاش في كهف مظلم لا تطل نوافذه على العالم (٦ ،ص٣٧٨) .

إن وظيفة المعلم (تقديم التلميذ لمجتمعه ، وتقديم ثقافة المجتمع للتلميذ ، وهذا التقديم يتطلب من المدرس ان يعرف الثقافة بقدر ما يعرف التلميذ) (٣ ، ص١٥) والحد الادنى للمعرفة بهذه الثقافة عند الشيخ ابن جماعة هو إدراك المعلم قدرا من كل علم ينفي عنه سمة الجهل به ويجعله عارفا بأصوله وبالمبادئ الاكثر اهمية فيه .

ثالثا: معرفة المعلم بطبيعة المتعلم :

رأى البدر بن جماعة ان معرفة المعلم بتلاميذه من اهم عناصر كفايته ونجاحه في عمله ، وتوفيقه في تقديم تعليم مؤثر . ويضع امامه حقيقة تربوية رائعة وهي أن :

كل متعلم فريد في نوعه :

لقد اوقفنا البدر بن جماعة على حقيقة ان كل متعلم فريد في نوعه ، وان المتعلم ينبغي ان يكيف وفق قدرات المتعلم قبل ان يثبت لنا عمليات قياس الفروق الفردية انه (لا يمكن ان يتشابه فردان ابدا ، ولا يوجد اي بحث علمي يمكن ان يبين ان هناك فردين متماثلان تماما في التكوين والسلوك . واذا كانت الحاجة تدعو في بعض الاحيان الى مقارنة الفرد بغيره ، الا ان الاهتمام يجب ان يوجه الى الفرد باعتبار انه يختلف عن غيره من الافراد)(١٤ ، ص٣٥٢).

صفات المعلم الجيد عند ابن جماعة

ادرك الشيخ ابن جماعة ان ثمة سمات شخصية وصفا وخصائص ومزايا نفسية لابد وان يتمتع بها المعلم لكي ينجح في تعليم تلاميذه ومن اهم هذه الصفات :

١- الالتزام بآداب تعليم العلم :

ويرجع حرص ابن جماعة على ضرورة تحلي المعلم بكريم الخلق وعظيم الادب الى تقديره لدور القدوة باعتبارها من اعظم وسائل التربية واكثرها فعالية ، والتلميذ سريع التأثر بمعلمه ولقد ثبت ان (الناس لديهم حاجة نفسية الى ان يشبهو الاشخاص الذين يحبونهم ويقدرونهم)(٥ ، ص٢٨٦) هذا الى جانب ان مهنة التعليم في حد ذاتها تستدعي ان يكون المعلم على اكمل حال ، اذا سرعان ما تنتقل صفاته الى تلاميذه ، وذلك لأهميته لهم ، وهم يتشربون بقصد او بغير قصد مبادئه وقيمه ويتأثرون دائما بشخصيته ، ومجمل سلوكه ، ومن هنا كان ابن جماعة محقا في دعوته لان يكون المعلمون اكمل الناس احوالا واجملهم اخلاقا .

٢- تنزيه العلم عن المطامع :

من اهم الصفات الواجب توافرها في المعلم تنزيه العلم عن جعله وسيلة للحصول على اغراض ومطامع دنيوية . فالعلم في رأي ابن جماعة أجل من ان يستخدم في هذا الشأن ، ومن واجب المعلم أن يقدم له بما يستحقه من العزة والشرف والصيانة وأن (ينزه علمه عن جعله سلما يتوصل به الى الاغراض الدنيوية من جاه او مال او سمعة او شهرة او تقدم على اقرانه)(٨ ، ص٢٥) كما ينزهه (عن الطمع في رفق من طلبته بمال او خدمة او غيرهما بسبب اشتغالهم عليه وترددهم اليه)(١٥ ، ص١٠٠) للتزود من علمه .

٣- القدرة على الاتصال بالحياة الاجتماعية :

يتميز المعلم – عند ابن جماعة – بقدرته على الاتصال بالحياة الاجتماعية وعدم اعتزال الناس فليس أضر على المعلم من الزهد في مصاحبة الناس والبعد عن حركة الحياة الاجتماعية ، ولذا فمن المستحب للمعلم ان ينغمس في حياة الناس ويخالطهم بما يتطلب ذلك من معاملة الناس بمكارم الاخلاق من طلاقة الوجه و إفشاء السلام و ..... الخ.

٤- الرفق بالتلاميذ والصبر عليهم

يرى ابن جماعة انه لا يؤثر في التلاميذ إلا المعلم الذي يرفق بهم ويشفق عليهم ويحبهم ويفرح بتعليمهم ويكلف نفسه كل مشقة في سبيل رعاية مصالحهم وتهذيب أخلاقهم وإرشادهم الى ما ينفعهم بكل أساليب الرحمة واللين.

تسمية التلميذ بما يحب أثرها التربوي في إشباع حاجته الى التقدير الاجتماعي وتنمية شعور الاحترام فيه ، وتنمية ثقته في نفسه الى جانب ملاطفته وإدخال السرور عليه .

٥- العدل والموضوعية في معاملة التلاميذ :

إن من خصائص المعلم الجيد في معاملة التلاميذ ، والبعد عن الهوى في الحكم عليهم ، ذلك لأن قدرا كبيرا من الصحة النفسية للطالب يتوقف على نوع المعاملة التي يتلقاها من معلمه .

فدعا الى ان يحكم العدل سلوك المعلم في تعامله مع تلاميذه وكره له صفة التحيز لبعضهم ومحاباتهم على حساب الاخرين ، وبين ان فقدان المعلم لصفة العدل يعوق عملية التعليم لما تسببه في قلوب التلاميذ من نفور ووحشة وكراهية للمعلم وللتعليم جملة .

٦- العناية بالمظهر العام :

يحرص ابن جماعة على ان يعتني المعلم دائما بمظهره العام ، وأن يبدوا لتلاميذه دائما بصورة طيبة دون مغالاة ، وأن يظهر لهم بالمظهر المناسب من حيث نظافة ثيابه ونفسه وتطيبه بطيب الرائحة وغير ذلك ، فالمعلم بعنايته بمظهره العام يكون مقبولا من طلابه من الناس اجمعين (١٧ ، ص ٢٧٩).

التفاعلات التربوية

خصائص طرق التدريس الجيدة عند ابن جماعة :-

لم تستطع الباحثة التوصل الى تعريف محدد للطريقة في التدريس فيما كتب الشيخ ابن جماعة ، فان توجيهاته للمعلمين مما ادرجه تحت آدابهم قد حوت خطوات ونشاطات هدفت الى تحقيق تعلم جيد ، لقد عرض للمعلمين خطوات يؤدي الانتقال فيها من خطوة الى اخرى الى التعلم . وقد رأى ابن جماعة ان التعليم يحقق اهدافه اذا امتازت وسائله وطرقه بمميزات نستطيع اجمالها فيما يلي :

١- أن تثير دافعية*التلاميذ للتعلم :

فالطريقة الجيدة هي التي تسلم بان التعلم يكون افضل كلما اشتدت رغبة التلاميذ في التعلم وحسنت نيتهم له .

وبين ابن جماعة ان الطلاب اذا تأهبوا لطلب العلم وقويت رغبتهم في تحصيله ، وصدقت نيتهم لتعلمه (ظهرت بركته ، ونما كالارض اذا طيبت للزرع نما زرعها وزكا)(١٦ ، ص٩٥) .

وابن جماعة حريص على الا يقف المعلم موقفا سلبيا تجاه تنمية دوافع تلاميذه واثارة رغبتهم في التعلم ، فيذكر للمعلم كيف يثير دافعيتهم وينمي ميولهم واتجاهاتهم ويحفزهم للتحصيل بشتى السبل والوسائل ، وكيف يرغب تلميذه في طلب العلم فكان يحثهم على طلب العلم في اكثر الاوقات بتلاوة الايات الكريمة التي توضح منزلة العلم والعلماء وانهم يرثون الانبياء وفي منزلة الشهداء مما ذكر في منزلة العلم والعلماء من الايات والاثار والاخبار والاشعار ، ويرغبه مع ذلك ، بتدريج على مايعين على تحصيله (١١،ص١٢٥) .

ويرى الشيخ ابن جماعة ان المتعلم في بدء تعلمه اشد حاجة الى الترغيب والتشجيع واثارة دوافعه .

*لا ترد كلمة دافعية في ما كتب ابن جماعة وانما عبر عنها بما يحمل معناها من مفردات (النية ، الرغبة ، الهمة ، المبادرة .....)

٢- أن تعتمد على فعالية المتعلم ونشاطه :

فالطريقة الجيدة هي التي ترى أن التعلم الحقيقي استجابة نشطة وجهد يبذله المتعلم في سبيل التحصيل ، وقد اهتم ابن جماعة بنشاط المتعلم وفعاليته في حلقة التعليم . فبهذه الفعالية يثبت التعلم وتتحقق فائدته.

ومن الخطأ في التعليم عند ابن جماعة أن يقوم المعلم ببذل كل الجهد في الإلقاء والشرح من بداية الدرس حتى نهايته ولا يسمح للتلاميذ بعمل شيء سوى الأنصات والنظر اليه . ذلك لأن التعليم عملية تفاعل بين المعلم والمتعلم ، وليست الفائدة مصدرها الوحيد هو المعلم ، بل تحقيق الفائدة عمل مشترك بين المعلم وتلاميذه ، وقد أكد ابن جماعة هذا المعنى بقوله (كان جماعة من السلف يستفيدون من طلبتهم ما ليس عندهم) (١٨ ، ص١٨٧) .

٣- أن تراعي مستوى ذكاء المتعلم :

تراعى الطريقة الجيدة في التدريس مستوى ذكاء المتعلم ، وتضع اعتباره قدراته فتفرق في التعليم بين الذكي النابه ومتوسط الذكاء ومتوقف الذهن .

٤- أن تعنى بالصحة العقلية للمتعلم :

وتعنى الطريقة الجيدة بالصحة العقلية للمتعلم فيما يرى ابن جماعة بأن :

أ- ألا تلجأ الى القسوة وإثارة مخاوف الطلاب وزيادة توترهم وقلقهم ، وفيما ينحو المعلم الى (الرفق بالطلبة وإعانتهم وبرهم)(٣ ، ص١١٣) .

ب-تنمي الطريقة الجيدة الانضباط الذاتي لدى المتعلم ، دون ان تلجأ الى العقاب أو الكبت لتعويده الالتزام ، وإنما تعمل على تنمية فكرة الالتزام بوازع داخلي في المتعلم نفسه دون إجبار

من أحد ، وقد مثل ابن جماعة للانضباط الذاتي بصور كثيرة حين يلتزم المعلم بآداب الدرس دون اكراه معلم ويصغي الى الشيخ ناظرا اليه ، ويقبل عليه .

ج- وتراعى الطريقة الجيدة في التعليم صحة المتعلم العقلية حين تهيئ فرص التعاون والتآخي والتحابب بين المتعلمين وتشجيعها اكثر من إثارة المنافسة بينهم ، فالتعاون يؤدي الى زيادة فعالية المتعلم .

د- والطريقة الجيدة التي تهتم بالصحة العقلية للمتعلم هي التي تحرص على إتاحة الفرص لتشجيعه على كل عمل يستطيع انجازه ويستوجب الثناء ، ولقد جاءت بحوث علم النفس الحديثة لتؤكد رأي ابن جماعة في أن الثناء والاستحسان يبعث على الاجتهاد فأثبتت أن (استحسان المعلم مصدر أساسي للتدعيم بالنسبة لتلاميذه في مراحل التعليم المختلفة بصفة عامة)(٥، ص ١٨٦)

أن تعنى بالصحة الجسمية للمتعلم :

تأخذ الطريقة الجيدة بعين الاعتبار الصحة الجسمية للمتعلم فكثير من العوامل الفسيولوجية تؤثر في التعلم من حيث كميته ونوعه ودقته وسرعته ، لاترهق حواس المتعلم وتسمح له دائما (أن يريح نفسه وقلبه وذهنه وبصره إذا كل شيء من ذلك)(٧ ، ص ٤٢٥).

٥- أن تكون قابلة للتكيف وفق الزمن المحدد للدرس :

يرى الشيخ ابن جماعة ان الطريقة الجيدة هي التي تأخذ في اعتبارها استيفاء الدرس من جهة ومصلحة الدارسين من جهة اخرى ، وتحدث التوازن المطلوب بينما ، ويقول ابن جماعة: (ينبغي ان لا يطيل (المعلم) الدرس تطويلا يمل ، ولا يقصره تقصيرا يخل ، ويراعي في ذلك مصلحة الحاضرين في الفائدة في التطويل)(١ ، ص٨٧)

طريقة المحاضرات او الطريقة الالقائية

تعتمد هذه الطريقة على اسلوب عرض الحقائق والمفاهيم وتوضيحها وتفسيرها . ولقد لقيت هذه الطريقة اهتمام الشيخ ابن جماعة . ونستطيع أن نعرض لطريقة الالقاء في فكر ابن جماعة على النحو الاتي :

التخطيط للمحاضرات والقاء الدرس :

لكي تحقق طريقة الالقاء اهداف التعليم فإن على المعلم ان يخطط لها تخطيطا جيدا قبل ان يشرع في إلقاء درسه . والتخطيط للألقاء عند ابن جماعة يتحقق بالاتي:

١- ان يتهيأ المعلم لالقاء درسه ، وتبدأ هذه التهيئة بعملية اعداد نفسي للمعلم بأن ((ينوي نشر العلم وتعليمه وبث الفوائد ... وأظهار الصواب والرجوع الى الحق)) ويصاحب الاعداد النفسي للمعلم اعداد بدني جسمي إذ ان حالة المعلم الجسمية تؤثر في قدرته على القاء درسه وإفادة تلاميذه ، يقول ابن جماعة : (ولا يدرس وقت جوعه او عطشه او همه او غضبه او نعاسه او قلقه ، ولا في حال برده المؤلم وحره المزعج ، فربما اجاب او افتى بغير الصواب ، ولانه لا يتمكن مع ذلك من استفياء النظر)(١٥ ، ص ٩٢) .

٢- يهيئ المعلم تلاميذه لسماع الدرس . ويساعده في ذلك المعيدون والنقباء وذلك لترتيب جلوسهم وحثهم على الانصات واعداد ما يلزمهم لمتابعة المحاضرة .

٣- ان يحسن المعلم تقدير الوقت اللازم لالقاء درسه وعرض مافيه من معلومات . ويبدأ ابن جماعة فينبه المعلم الى ان تحديد موعد المحاضرة ينبغي الا يتعارض مع مصلحة التلاميذ من

حيث تقديمه او تأخيره ذلك لانهم المعنيون بعملية التعليم فيقول : (ينبغي الاهتمام بمصلحة جماعة المتعلمين في تقديم او تاخير وقت المحاضرة) (٢ ، ص١٣٢).

٤- ينبغي على المعلم قبل القاء درسه ان يتأكد من تمام معرفته بمادة الدرس واحاطته بحقائقه ومهارته .

٥- قبل ان يبدا المعلم في القاء درسه عليه ان يقف على قدرات طلابه ، وان يوائم بين قدراتهم وبين ما سيقوم بعرضه عليهم من خبرات ومعاني . ولذا فأبن جماعة يطلب من المعلم الا يبدأ في تعليم تلميذه (حتى يجرب ذهنه ويعلم حاله) (٤ ، ص٢٢٠).

٦- على المعلم ان يفكر قبل القاء درسه في مواضع الدرس التي تحتاج الى استخدام تعبيرات واساليب كلامية معنية لايضاح فكرة ما ، او شرح عبارة لا يتضح معناها الا باستعمال هذه التعبيرات .

٧- وينبغي للمعلم قبل الشروع في القاء درسه ان يفكر في كل موضع من درسه يمكن ان يطرح فيه اسئلة على الطلبة ليختبر بها مدى فهمهم و ضبطهم بما درس سابقاً وما الاسئلة التي يمكن ان تطرح تحقيقا لهذا الغرض .

التنفيذ الجيد لطريقة الالقاء عند الشيخ ابن جماعة :

يرى الشيخ ابن جماعة ان ليس ثمة خطوات محددة لتنفيذ طريقة الالقاء عرض المحاضرة . ومن اهم هذه العناصر :

١- ان يرعى المعلم في عرضه للدرس قدرات طلابه على متابعة شرحه .

٢- ان يتاكد المعلم خلال عرضه للدرس من متابعة تلاميذه لما يقول .

٣- ان يوجه المعلم حديثه الى الطلاب جميعا ، فلا يخص بعضا دون بعض .

٤- ان ينتظر المعلم بعد عرض كل عنصر او شرح كل فكرة فترة من الزمن ، ويقف وقفة تسمح لتلاميذه بالسؤال و الاستفسار والنقاش .

٥- ان يحرص المعلم على عدم الخروج عن موضوع المحاضرة ، او الاستطراد كثيرا في مواضيع جانبية ، فذلك يشتت انتباه التلاميذ ، ويدعوهم الى الانصراف عن درسه (١٤ ، ص ٣٥٢).

٦- ان يحرص المعلم على ان يسود جو المحاضرة هدوء يسمح له بالإلقاء والشرح والتفسير وعليه ان يحدث التوازن المطلوب بين ايجابية الطالب في المحاضرة وبين الهدوء اللازم لعرض الدرس .

٧- ان يحسن استخدم الصوت وعادات الكلام الصحيحة اثناء الالقاء من ذلك – فيما يرى ابن جماعة – (ان لا يرفع صوته زائدا على قدر الحاجة ، ولا يخفضه خفضا لا يحصل معه كمال الفائدة ، والاولى ان لا يجاوز صوته مجلسه ، ولا يقصر عن سماع الحاضرين .... ولا يسرد الكلام سردا بل يرتله ويرتبه)(١١ ، ص١٣٢).

٨- ان يتأنى المعلم في القائه ليتمكن الطالب المستمع من متابعته واعمال فكره فيما يقول معلمه : – عليه ان (يتمهل فيه ليفكر فيه هو وسامعه)(٢ ، ص٢٠٩).

٩- ان يتأكد المعلم في نهاية المحاضرة من ان طلابه قد فهموا درسه ، وحصلوا ما القاه عليهم وذلك عن طريق اختبارهم بالأسئلة.

تلك كانت مجموعة من القواعد العامة التي أكدها الشيخ ابن جماعة في حديثه عن آداب المعلمين و المتعلمين وهي تضمن فعالية الالقاء ، وتحقق أهداف التعليم وأغراضه ، وإذا اتبع المعلم هذه القواعد تحققت له المهارة في استخدام الطريقة الالقائية استخداما مفيدا ، بعد ان تتخلص هذه الطريقة مما يلحق بها من عيوب ويشوبها من ضعف .

المصادر :

١- ابن جماعة ، بدر الدين محمد بن ابراهيم بن سعد الله : تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم – (تحت ادارة جمعية دائرة المعارف) – ١٣٥٣ هـ .

٢- أبن كثير ، أبو الفداء الحافظ : البداية والنهاية – ط١ – مكتبة المعارف – بيروت – ج١٤ – ١٩٦٦.

٣- أبو الفتوح ، رضوان واخرون : المدرس في المدرسة والمجتمع – مكتبة الانجلو المصرية – القاهرة – ١٩٧٣.

٤- بردى ، جمال الدين ابو المحاسن يوسف ابن تغري : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة – طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب – المؤسسة المصرية العامة للتاليف والطباعة والنشر – ج٩ .

٥- جمال الدين ، عبد الرحيم الاسنوي : طبقات الشافعية – تحقيق عبدالله الجبوري – ط١ – مطبعة الرشاد بغداد – ج١ – ١٩٧٠.

٦- جميل صلبيا : فلفلسه التربوية متجددة واعداد معلمين – لجماعة من علماء التربية في العالم العربي – دائرة التربية – الجامعة الامريكية في بيروت – لبنان – ١٩٥٦ .

٧- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن : حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة – تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم – ط١ – دار احياء الكتب العربية – ج١– ١٩٦٧.

٨- صلاح الدين بن آيبك الصفدي : الوافي بالوفيات – ط٢ – ج ٢– ١٩٧٤ .

٩- عرفات ، عبد العزيز سليمان : المعلم والتربية – دراسة تحليلية مقارنة لطبيعة المهنة – ط١ – مكتبة الانجيلو المصرية – ١٩٧٧ .

١٠- العسقلاني ، شهاب الدين احمد بن حجر : الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة – تحقيق محمد بن جاد الحق – دار الكتب الحديثة – القاهرة – ج٣ – ١٩٦٧ .

١١- عمارة ، محمد :الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغاني – ط١ – مصر – ١٩٦٦ .

١٢- علي ، سعيد اسماعيل : الفكر التربوي العربي الحديث – سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت – ١٩٨٧ .

١٣-فهد ، ابتسام محمد :الفكر التربوي الاسلامي لبعض فلاسفة العرب المسلمين بين القرنين الرابع والسادس الهجريين – (رسالة دكتوراه غير منشورة) – جامعة بغداد – كلية التربية – ١٩٩٤ .

١٤-محمد بن شاكر بن احمد الكتبي : فوات الوفيات – حققه وضبطه وعلق حواشيه محمد يحيى الدين عبد الحميد – مكتبة النهضة المصرية – ج٢ –١٩٥١ .

١٥-محمود رزق سليم : عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والادبي – مكتبة الآداب الجماميز – ج٢ – ١٩٤٧ .

١٦-مصطفى بن عبدالله الشهير بحاجي خليفة : كشف الظنون عن اساس الكتب والفنون – منشورات مكتبة المثنى – بيروت – ج١ .

١٧-المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : من اعلام التربية العربية الاسلامية – م ٣ – مكتب التربية العربي لدول الخليج .

١٨-اليافعي ، ابو محمد عبدالله بن اسعد بن علي بن سليمان : مرأة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان – ط ٢ – مؤسسة الاعلمي للمطبوعات بيروت – ج ٤- ١٩٧٠ .